بوجه وجواب للنقض بنسخ بعض الآيات ببعض ورد لما عرضوا له بهذا السؤال من أن القرآن
كلامه واختراعه ولذلك قيد التبديل في الجواب وسماه عصيانا فقال إني أخاف إن عصيت ربي بالتبديل
عذاب يوم عظيم وفيه إيماء بأنهم استوجبوا العذاب بهذا الاقتراح قل لو شاء الله غير ذلك ما تلوته عليكم ولا
أدراكم به ولا أعلمكم به على لساني وقرأ ابن كثير في رواية قنبل والبزي بخلاف عنه ولأدراكم بلام التأكيد أي لو شاء الله
ما تلوته عليكم ولأعلمكم به على لسان غيري والمعنى أنه الحق الذي لا محيص عنه ولو لم أرسل به لأرسل به غيري وقرئ ولا أدرأتكم
بالهمز فيهما على لغة من يقلب الألف المبدلة من الياء همزة أو على أنه من الدرء بمعنى القطع أي ولا أجعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤونني
بالجدال والمعنى أن الأمر بمشيئة الله لا بمشيئتي حتى أجعله على نحو ما تشتهونه ثم قرر ذلك بقوله فقد لبثت فيكم عمرا مقدار عمر
أربعين سنة من قبله من قبل القرآن لا أتلوه ولا أعلمه فإنه إشارة إلى أن القرآن معجز خارق للعادة فإن من عاش
بين أظهرهم أربعين سنة لم يمارس فيها علما ولم يشاهد عالما ولم ينشئ قريضا ولا خطبة ثم قرأ عليهم كتابا بذت فصاحته
كل منطيق وعلا كل منثور ومنظوم واحتوى على قواعد علمي الأصول والفروع وأعرب عن أقاصيص الأولين وأحاديث
الآخرين على ما هي عليه علم أنه معلم به من الله أفلا تعقلون أفلا تستعملون عقولكم بالتدبر والتفكر فيه لتعلموا أنه ليس إلا من الله
فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا تفاد مما أضافوه إليه كناية أو تظليم للمشركين بافترائهم على الله في قولهم إنه لذو شريك وذو ولد
أو كذب بآياته فكفر بها إنه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم لأنه جماد لا يقدر على نفع ولا ضر
والمعبود ينبغي أن يكون مثيبا ومعاقبا حتى تعود عبادته بجلب نفع أو دفع ضر ويقولون هؤلاء الأوثان شفعاؤنا عند الله
تشفع لنا فيما يهمنا من أمور الدنيا وفي الآخرة إن يكن بعث وكأنهم كانوا شاكين فيه وهذا من فرط جهالتهم حيث تركوا عبادة
الموجد الضار النافع إلى عبادة ما يعلم قطعا أنه لا يضر ولا ينفع على توهم أنه ربما يشفع لهم عند الله قل أتنبئون الله
بما لا يعلم وهو أن له شريكا وفيه تقريع وتهكم بهم أو بسولاء شفعاء عنده وما لا يعلمه العالم بجميع المعلومات
لا يكون له تحقق في السموات ولا في الأرض حال من العائد المحذوف مؤكدة للنفي منبهة على أن ما تعبدون من دون الله إما
سماوي أو أرضي ولا شيء من الموجودات فيهما إلا وهو حادث مقهور مثلكم لا يليق أن يشرك به سبحانه وتعالى عما يشركون
عن إشراكهم أو عن الشركاء الذين يشركونهم به وقرأ حمزة والكسائي بالتاء هنا وفي الموضعين في أول النحل والروم بالتاء
وما كان الناس إلا أمة واحدة موحدين على الفطرة أو متفقين على الحق وذلك في عهد آدم عليه السلام إلى أن
قتل قابيل هابيل أو بعد الطوفان أو على الضلال في فترة من الرسل فاختلفوا باتباع الهوى والأباطيل أو ببعثة
الرسل فتبعهم طائفة وأصرت أخرى ولولا كلمة سبقت من ربك بتأخير الحكم بينهم أو العذاب الفاصل بينهم إلى يوم القيامة
فإنه يوم الفصل والجزاء لقضي بينهم عاجلا فيما فيه يختلفون بإهلاك المبطل وإبقاء المحق ويقولون لولا أنزل
عليه آية من ربه أي من الآيات التي اقترحوها فقل إنما الغيب لله هو المختص بعلمه فلعله يعلم في إنزال الآيات المقترحة
من مفاسد تصرف عن إنزالها فانتظروا لنزول ما اقترحتموه إني معكم من المنتظرين لما يفعل الله بكم لجحودكم ما نزل علي
من الآيات العظام واقتراحكم غيره وإذا أذقنا الناس رحمة صحة وسعة من بعد ضراء مستهم كقحط ومرض أذاقهم

مكر في آياتنا بالطعن فيها والاحتيال في دفعها قيل قحط أهل مكة سبع سنين حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم الله
بالحيا فطفقوا يقدحون في آيات الله ويكيدون رسوله قل الله أسرع مكرا منكم قد دبر عقابكم قبل أن
تدبروا كيدكم وإنما دل على سرعتهم المفضل عليها كلمة المفاجأة الواقعة جوابا لإذا الشرطية والمكر إخفاء الكيد
وهو من الله إما الاستدراج أو الجزاء على المكر إن رسلنا يكتبون ما تمكرون تحقيق للانتقام وتنبيه على أن
ما دبروا في إخفائه لم يخف على الحفظة فضلا أن يخفى على الله وعن يعقوب يمكرون بالياء ليوافق ما قبله هو الذي
يسيركم يحملكم على السير ويمكنكم منه وقرأ ابن عامر بالنون والشين من النشر في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك
في السفن وجرين بهم بمن فيها عدل عن الخطاب إلى الغيبة للمبالغة كأنه تذكرة لغيرهم ليتعجب من حالهم وينكر
عليهم بريح طيبة لينة الهبوب وفرحوا بها بتلك الريح جاءتها جواب إذا والضمير للفلك أو للريح الطيبة
بمعنى تلقتها ريح عاصف ذات عصف شديدة الهبوب وجاءهم الموج من كل مكان يجيء الموج منه وظنوا
أنهم أحيط بهم أهلكوا وسدت عليهم مسالك الخلاص كمن أحاطت به العدو دعوا الله مخلصين له الدين
من غير إشراك لتراجع الفطرة وزوال المعارض من شدة الخوف وهو بدل من ظنوا بدل الاشتمال لأن دعاءهم
من لوازم ظنهم لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين على إرادة القول أو مفعول دعوا لأنه من جملة القول
فلما أنجاهم أجاب لهم دعاءهم إذا هم يبغون في الأرض فاجأوا الفساد فيها وسارعوا إلى ما كانوا عليه بغير الحق
مبطلين فيه وهو احتراز عن تخريب المسلمين ديار الكفار وإحراق زروعهم وقلع أشجارهم فإنها إفساد بحق يا أيها
الناس إنما بغيكم على أنفسكم فإن وباله عليكم أو أنه على أمثالكم وأبناء جنسكم متاع الحياة الدنيا منفعة الحياة
الدنيا لا تبقى ويبقى عقابها ورفعه على أنه خبر بغيكم وعلى أنفسكم صلته أو خبر محذوف تقديره ذلك متاع الحياة الدنيا
وعلى أنفسكم خبر بغيكم ونصبه حفص على أنه مصدر مؤكد أي تتمتعون متاع الحياة الدنيا أو مفعول البغي لأنه بمعنى
الطلب فيكون الجار من صلته والخبر محذوف تقديره بغيكم متاع الحياة محذور أو ضلال أو مفعول فعل
دل عليه البغي وعلى أنفسكم الخبر ثم إلينا مرجعكم في القيامة فننبئكم بما كنتم تعملون بالجزاء عليه إنما مثل الحياة الدنيا
حالها العجيبة في سرعة تقضيها وذهاب نعيمها بعد إقبالها واغترار الناس بها كماء أنزلناه من السماء فاختلط
به نبات الأرض فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا مما يأكل الناس والأنعام من الزروع والبقول
والحشيش حتى إذا أخذت الأرض زخرفها تزينت بأصناف النبات وأشكالها وألوانها المختلفة كعروس
أخذت من ألوان الثياب والزين فتزينت بها وازينت أصله تزينت فأدغم وقد قرئ على الأصل
وأزينت على أفعلت من غير إعلال كأغيلت والمعنى صارت ذات زينة وازيانت كابياضت وظن
أهلها أنهم قادرون عليها متمكنون من حصدها ورفع غلتها أتاها أمرنا ضرب زرعها ما يجتاحه ليلا
أو نهارا فجعلناها فجعلنا زرعها حصيدا شبيها بما حصد من أصله كأن لم تغن كأن لم يغن زرعها أي لم ينبت والمضاف
محذوف في الموضعين للمبالغة وقرئ بالياء على الأصل بالأمس فيما قبيله وهو مثل في الوقت القريب

Copyright © King Saud University